(رسالة ٥٨) (الإيمان بالقدر)

رسالة في (نعمة الله على المؤمن في الدنيا)

هذه الرسالة تتحدث عن موضوع القدر والشرع وتتحدث عن حكمة الله تبارك وتعالى في شرعه، وتتحدث عن نعيم الله تبارك وتعالى وإكرامه لعباده المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة، وتتحدث عن حقيقة النفس، أن تعرف نفسك وأن تعرف صفاتها، وتتحدث عن معنى أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وتبين أن المؤمن أرجح في اللذة والنعيم في الدنيا من الكافر مهما كان الكافر قد أوتي من الملك والجاه والمنصب فإن المؤمن أرجح لذة ونعيماً منه في الدنيا قبل الآخرة.

هذه الرسالة تتحدث عن أثر العمل الصالح على العبد في الحياة الطيبة تتحدث كذلك عن حكمة الله تبارك وتعالى في أنه أمر العبد بالعمل الصالح وشفقته وتزكيته نفسه وبين خطأ من زعموا أن الله أراد بعبادته الحج أو التعظيم أو مجرد الابتلاء أو المشقة على النفوس، وبين خطأ هذا، كذلك بين رحمه الله تبارك وتعالى أن العيش الطيب إنما يكون في طاعة الله، وكذلك تكلم عن صفات النفس، أن الإنسان ظلوم جهول جزوع منوع كفور كنود يئوس قنوط فخور وما دلالة ذلك في أن يعرف الإنسان نفسه وأن يصلح الإنسان نفسه وأن يزكي نفسه.

هذه الرسالة هي رسالة مهمة جداً يحتاج الإنسان مع نفسه ويحتاج أن يخاطب بمعانيها الناس من الأولاد والذرية والأهل ومن يعرفه حتى يبين لهم الخطأ المشهور عند العامة أن الإنسان إنما يسعد في الدنيا فقط أو أن يسعد في الآخرة فقط وهي فكرة مأخوذة من جهلة العباد ومن النصارى

واستغلت الجماعة العبادة من المسلمين، وظنوا أن الإنسان بقدر ما يهلك نفسه ويحرمها من الدنيا بقدر ما ينعم في الآخرة. وهذا فهم باطل، فالله سبحانه وتعالى أكرم من أن يشقي عباده المؤمنين في الدنيا بل يكرمهم ويفرح قلوبهم ويطهر قلوبهم ويقوي قلوبهم وينزل السكينة عليهم في الدنيا قبل الآخرة ويدخلهم الله تبارك وتعالى جنة العاجلة في الدنيا ويحيهم حياة طيبة في الدنيا قبل الآخرة.

فهذه المعاني معاني دقيقة جداً مع كثرة ما جاء في النصوص بيانها ولكن كثير من الناس يغفل عنها ويضيعها فيما حفظ، كما قالوا أن الأجر على قدر المشقة وكل ما كان العمل شاقاً كلما كان أعظم أجراً، وهذه القاعدة ليست صحيحة وإنما العمل يتفاضل بحسب العمل وبقدر ما في القلوب وليس بمجرد المشقة في العمل بلا قدر الإتباع.

(فائدة): أعظم ما يحتاجه المسلمون هو أن يكون الدين كله لله وأن يعبد الله بما شرع سبحانه وتعالى، فكل ما خالف هذا ذلك فهو معتدي على هذه الفكرة، فطالب العلم الذي لم يؤسس على هذه المعاني يكون ناقصاً ويكون معرضاً للفتنة والمسلم من باب أولى، والمسلمون الناس وقعوا في الإشكالات والجزئيات والشبهات دون أن يكون عندهم المحكمات، فهذه المعاني هم معرضون كثيراً جداً للفتنة معرضون كثيراً جداً للشقاق ومعرضون كثيراً جداً للانحراف على

أحكام الله، فلابد أن تؤسس بنيان أعمالنا على هذه التقوى، أن
نتعلم الإخلاص، وأن نتعلم ما عند الله تبارك وتعالى ما يجعلهم يؤمنون به، ويحبونه
ويرهبونه، ويتوكلون عليه، ويسعون في مرضاته، ويجاهدون أنفسهم في الله
بما يرضيه، ويعبدون ما يأمرهم الله تبارك وتعالى به. فهذه المعاني هي التي
تؤسس بنيانك على التقوى، وهي الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في
السماء وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص،
وهذا الإخلاص لن يأتي إلا بأن تعرف من هو الله، أن تعرف من أسمائه وأفعاله
وكماله وما يجعلك تحبه وتخلص له، وتفتقر إليه وتحتاج إليه وتتوكل عليه
وتتضرع إليه وتلتجئ إليه، فكثير من الناس مشكلتهم أنهم طلبوا منهم الإخلاص
لله دون أن يعرفوا من هو الله، وطلبوا منهم التوكل على الله دون أن يعرفوا
من الذي يجعلهم يتوكلون على الله. فهذه العقائد مقاصدها مهمة جداً، وهي:
العلم بالله، والعلم بالملائكة، والعلم بالرسالة وبالوحي، وبالإيمان بالقدر والإيمان
باليوم الآخر. كل هذه المعاني هي البداية لكل تفاصيل شريعة الإسلام.
فالذي يعلم تفاصيل شريعة الإسلام وجزئيات دين الإسلام دون أن يمر
من هذه البداية هو الذي يسهل عليه أن يخرج من الإسلام، وهو الذي
معرض للانقلاب على عقبيه، والانتكاس، وهو معرض للنفاق، وهو معرض لكل
للاعتراض على أحكام الله، فهو لم يعرف عن الله ما يجعله يتوكل عليه ولا يعظمه
به ولا يحبه ولا يعظمه بالحكمة ولا يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم.

الموضوع: التاريخ: / /

ابن تيمية يبدأ في هذه الرسالة بعرض مقالة مبتدعة، وهذه المقالة يسمي ابن تيمية أصحابها، وهم القدرية يزعمون أن الله تبارك وتعالى أنعم على الكافر كما أنعم على المؤمن، وأن المؤمن وصل إلى الإيمان والطاعة بنفسه دون حاجة إلى لطف الله وهدايته وتحبيب الإيمان ونحو ذلك، وكذلك الكافر كفر بنفسه وليس بخذلان الله تبارك وتعالى له. وهؤلاء هم القدرية وهم المعتزلة ومن قال بقولهم.

الجمع بين الشرع والقدر: كثير من الناس ضل في هذا الباب فبعضهم قالوا إذا كان الله علم وكتب وخلق وشاء وقدر أفعالنا فلماذا يأمرنا وينهانا ويعاقبنا سيئا فبالتالي جعلوا الإنسان مجبرًا على فعله، والفريق الآخر، أنكروا قدر الله السابق حتى يراعوا الأمر والنهي حتى يثبتوا أن الإنسان حر لأنه مأمور ومنهي ومسؤول عن أفعاله فنفوا قدرة الله تبارك وتعالى على أفعال العباد ونفوا التقدير السابق والأولون منهم هم الذين نفوا علم الله السابق وكتابته للأشياء والمتأخرون منهم هم المعتزلة ومن تبع قولهم هم الذين قالوا أن الله لم يخلق أفعال العباد ولم يشأها

فابن تيمية يرد في هذه الرسالة على الطائفتين وبشكل عام نقول مختصرًا أن الجمع بين الشرع والقدر هو الحق في هذا الباب وهو أن نقول إن الله تبارك وتعالى علم كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض وكتبه وهو الذي قدره وخلقه وشاءه وأن الإنسان مسؤول عن فعله وأن

الإنسان عنده قدرة وعنده اختيار وإن كان لا يشاء شيئاً إلا بمشيئة الله ولكنه عنده القدرة على الاختيار والله سبحانه وتعالى جعله مسؤولاً عن فعله والله سبحانه وتعالى يرتب تقديره لعبده بما أخذ من الأسباب كما قال تعالى "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى" وكما قال تعالى "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" وقال الله تبارك وتعالى في المقابل "والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم" فالجمع بين الشرع والقدر هو ما عليه أهل السنة وهم الذين جمعوا بين آيات القرآن التي تبين أن الله تبارك وتعالى بكل شيء عليم وأنه سبحانه وتعالى كتب كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض وأنه خلق أفعال العباد وأنه شاءها وقدرها وأنه كذلك حكيم وجميل ولطيف وخبير وقدير على كل شيء مقدر وفي المقابل كذلك أثبت الله سبحانه وتعالى أن العبد مستطيع وأن العبد له قدرة ومشيئة وله اختيار وإذا سلب العبد هذه المعاني فإذا كان نائماً أو كان مغمى عليه أو كان جاهلاً فإنه يكون معذوراً بقدر ذلك.

فائدة: تقرير الحكم ورد الباطل: أن لا تتعدى ولا تغلو فأنت أحياناً يكون عندك حق كثير من العلم ولكنك ترد عليه بالباطل أو ربما تنهى عن المنكر بمنكر أو ربما ترد الباطل بباطل أعظم منه فما بين يديه يريد أن تقول لك أنت إذا أخذت دينك من الوحي من كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة فإنك لن تخرج من البدعة إلى بدعة بل تخرج من البدعة إلى السنة المحضة فالسنة المحضة هي التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم. فلا ترد الباطل بباطل حتى ولو كان دونه.

فالذين ردوا على المعطلة في باب الأسماء والصفات شبهوا فأثبتوا أن الله له أسماء وصفات ولكنهم شبهوا صفات الله بخلقه فهذا رد للباطل بباطل والذين قالوا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها هذا حق لكنهم زادوا فيه وجعلوا العبد مجبراً وأن الله يفعل فعل العبد وهذا باطل وهؤلاء هم الجبرية.

فالذين يثبتون الحكم من أهل السنة لابد أن يثبتوا الحكم كما جاء في الوحي.

والذين ردوا على المعتزلة الذين قالوا ما أنعم به الكافر هو نعمة تامة، قالوا ليس لله على الكافر نعمة دينية أو لأن ليس له عليه نعمة دينية محضة إذ اللذة المتعقبة ألماً أعظم منها ليست نعمة. كالطعام المسموم. كذلك الكفار الذين أعطاهم الله مالاً وكثيراً في الدنيا هذه ليست نعمة لأنها أعقبت حسرة وهذا القول فيه نوع من الحق لكنه كذلك فيه خطأ لأنهم ينفون أن يكون الله أنعم الكفار بأي وجه وهذا ليس صحيحاً لأن الله سبحانه وتعالى سمى أنه يعطيهم شيئاً من النعمة وقال في الإنسان "إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه" وكما قال الله سبحانه وتعالى "ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً"

نفرق بين النعمة المطلقة والنعمة التامة. فهؤلاء ينفون كل أنواع النعمة على الكفار بعكس الآخرين يثبتون النعمة التامة على الكفار والصواب هو الوسط، أن الله قد ينعم الكافر وقد يعطيه مالاً وقد يعطيه رزقاً ويكون ذلك استدراجاً لا يكون نعمة تامة لأن النعمة التامة لابد أن تنتهي إلى خير أما إذا لم تنتهي إلى خير فليست نعمة تامة.

س. هل كل ما يعطيه الله للعبد في الدنيا هو من باب الجزاء أم من باب الابتلاء؟
الأصل أنه من باب الابتلاء، ليس هو عطاء جزاء، فعطاء الجزاء في الآخرة
وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ،، أما كل عطاء من الدنيا فهو امتحان حتى
المؤمن) فكثيرا ما أوتي نعمة عظيمة بسبب طاعته ثم بعد ذلك يكفر بالنعمة ولا
يراعي حق الله فيها فتكون في حقه نقمة لأن الأعمال بالخواتيم وليس بالمقدمات

قالوا: ولا يلزم من قول هؤلاء أن الكفار لم يجب عليهم شكر الله، إذ لم يكن قد
أنعم عليهم عندهم، لما أنهم قالوا ليس لله على الكافر نعمة فكيف يكون
الكافر مكلفاً بأن يشكر الله إلا إذا كان لله عليه نعمة. وهذا القول يعلم
فساده بالاضطرار من دين الإسلام

قال تعالى ،، ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور
ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور
نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذم هذا الشخص من الحالتين فإنه من حال الشدة يكون
يئوساً قنوطاً وإنه من حال الإنعام يكون فرحاً فخوراً ينسب النعمة إلى نفسه
ويجحد نعمة الله ولا يشكر ربه ويفتخر بها على الناس كقارون الذي قال: إنما
أوتيته على علم عندي، وهذا حال من ينسب النعمة لغير الله، أما سليمان
أو ذو القرنين قال هذا رحمة من ربي، سيدنا سليمان قال هذا من فضل ربي
ليبلوني أأشكر أم أكفر ،، فنبه الله سبحانه وتعالى أن المؤمن لا يقنط
من الشدة ولا يفرح فرح البطر بالنعمة بل يعلم أن الشدة توجب
التضرع والالتجاء إلى الله وأن النعمة توجب شكر الله لأنه يستحق حمداً كثيراً

لذلك نجد هذه الآية قال " إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات "

الإنعام والمجد والإكرام والعطاء كل هذه إكرامات وثبتت لكن

ليست عطاء إكرام وإنما عطاء الابتلاء فلا يظن الإنسان أن عطاء

الله له في الدنيا يكون جزاء لعمله بل هو ابتلاء فلو يكون مقدمة

وليست نتيجة وقد يكون نتيجة ومقدمة أيضاً . كما ذكر في الحديث

الصحيح : أول من تسعر عليهم يوم القيامة ثلاثة منهم عالم بالقرآن

فظن أن إعطاءه للقرآن أنه إكرام الله له وإنما هو ابتلاء لينظر الله

ماذا يفعل فاشترى بآيات الله ثمناً قليلاً ولم يرد الدار الآخرة .

فالإنسان قد يذنب ذنباً ثم يتوب ويكون أعماله صالحة فيكون الذنب

الأول سبباً في كل هذا الخير ولكن قد يبدأ طاعة ويفعلها بغرور ويتكبر

ويستعلي على الناس ويفتخر بعمله على الناس فيحبط عمله لذلك الإنسان

بالخواتيم . لكنه يكون مغروراً بالقرآن حسيب متفقه به ويتعالى به على

الناس ويعجب بأن يسمع وأن يرائي بعمله وهكذا كل ما يعطاه الإنسان

في الدنيا هو اختبار " إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم

أحسن عملاً " والناس نوعان إما الأحسن عملاً وإما الأخسرين أعمالاً

" الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً "

(فائدة) : الإنسان المجتهد في العبادة قد يستعلي بعبادته على العاصي وكم من
ليس لديه هذه النعمة من العبادة بل قد يتألى على الله كالرجل الذي قال
والله لا يغفر الله لك فهذا الشخص صار احتكاره في العبادة وبالاً عليه
وصار يتحمل الأجر جزائه على ذنبه الذي جعله ينكسر أمام الله مفتقراً
إلى عفوه وراجياً إلى مغفرته الله سبحانه وتعالى علم منه ذلك فغفر له
فأصبح يحمل الأجر إذا نظر الإنسان من هذا المعنى سيعرف أمرين: الأول:
أنه مفتقر إلى الله في كل شيء والأمر الثاني أن يقول: اللهم إني ظلمت نفسي
ظلماً كثيراً فأنت ولي مغفرة من عندك.

والذي يقرأ القرآن سيجد أن الله سبحانه وتعالى يبتلي العبد بكل هذه المعاني
لما قال الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: إنما بعثتك لأبتليك
وأبتلي بك " فما بعث النبي صلى الله عليه وسلم للعاصي فاتكه فيتفهم ما يكون به
ويعلم به أماكنه لذلك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم رحمة لكل هؤلاء

" ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم. "
لذلك الإنسان إذا نظر إلى كل نعم أو كل عطاء من الله سواء
جعله يصلي كحفظ القرآن كمن أهل العلم أو من أهل الدعوة
أو جعله مشهوراً أو جعله جميلاً أو جعله ذكياً أو جعله لسانه
إذا نظرت إلى هذا أنه مجرد نعمة هذا هو الذي جاء القرآن لينبه

فإذا لاحظت أنه جاء لدى الله أعطاها هذا العطاء فإنما هو ابتلاء.

فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا

ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا .. لأن هذا العطاء

ليس للإهانة وليس للإكرام وإنما هو عطاء اختبار وإنما يكون العطاء

إكراماً ويكون كذلك ابتلاءً ويكون مصيبة ويكون كذلك ابتلاءً

كم من إنسان كانت مصيبته سبباً في أن تحدث له إنابة إلى الله في الرجاء

والخوف والإنكسار والتواضع، وكم من إنسان يكون مستطيعاً صاحب تجارة

وعلم ويحد الناس الذين يتابعونه يسمعون دروسه فيكون قريباً من الاستعلاء

والكبر.

زيادة: المؤمن العاقل هو الذي يحسن التعامل مع المصيبة والنعمة والحسنة والسيئة.

وهو الذي يعرف ما الذي يجب عليه عند المصيبة وماذا يجب عليه عند النعمة.

الشكر عند النعمة والصبر عند المصيبة.

قال تعالى: "وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من

كل مكان فكفرت بأنعم الله" هذا واضح جداً في أن الله ينعم على قوم

ولكنها ليست نعمة تامة، لأنه لم ير نعمة حقيقية إنما هي ليست نعمة تامة

والنعمة التامة هي التي لا تعقب حسرة. والنعمة التامة عند العلماء على كثرة

في الدنيا هي الطاعة والعمل الصالح إلا هو التي يبقى من كل ويبقى أثرها

وكل نعمة أخرى كما قال الله هو متاع الغرور "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"

أما عطاء الله من غير مجذوذ وهو باقٍ ودائم)

قال الأولون - الذين يقولون نعمة الله على الكافر ... أن الله أنعم النعمة على المؤمنين بقوله " صراط الذين أنعمت عليهم " وهذا أقطع الأذهان الذين قالوا كلمة من حال جزئي)

بين ابن تيمية كيف الشر هذا سنة الحياة وهو بات عظيم للمؤمن وهذا أحد من حكمة الله ما خلق الشرور وتقديرها أن تكرهها وأن تبغضها وأن تكره أعداء الله وأن تكره الفواحش والمنكرات وكل هذا من حكمة الله.

ويريد أن يقول أن هذه النعمة عليهم ليست مطلقة ومن الشواهد على ذلك أن النعمة لو كانت مطلقة إذا يكون إنعام الله للكفار في الدنيا أعظم من إنعامه للمؤمنين ما للكفار عندهم أموال ويفعلون ما يشاءون من كلوا إننا نظرنا إلى مجرد الإعطاء أنه نعمة مطلقة فمعنى ذلك أن الكافر نعيمهم في الدنيا أكثر من المؤمنين وهذا ليس كذلك بل الله سبحانه وتعالى بين أن له معيشة ضنكاً في الدنيا بين أن صدره ضيق وأنه مضطرب وأنه حيران وليس على هدى وليس له ... وليس له الهداية فكيف يكون أكثر نعمة.

بين ابن تيمية أن أعظم نعمة على الخلق أنه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب فمن لم يأخذ هذه النعمة ويشكرها فهذا ليس مُنعماً فأعظم نعمة هي الهداية.

والله سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء وأعظم رحمة من الله هو أن يدلك للإيمان

فائدة: المشركون الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يشبهون قوم نوح
من أوجه كثيرة من ضمنها مثلاً أن قوم نوح قالوا "وما نراك اتبعك إلا
الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل" كأنهم يقولون
لو أن دينك حقاً لكنا نحن دخلنا فيه لأننا أهل المناصب وأهل الشرف والمال
فإذا كان من يتبعك هم الذين نحتقرهم فهذا دليل على أن دينك ليس دين حق
تماماً كما قالت قريش فقالوا "أهؤلاء من الله عليهم من بيننا" وهذا
احتقار للصحابة الكرام بلال وخباب وسلمان فهؤلاء احتقروهم والله
سبحانه وتعالى دافع عنهم، فالمنافقون قالوا "أنؤمن كما آمن السفهاء" فقال
الله سبحانه وتعالى "ألا إنهم هم السفهاء" والله سبحانه وتعالى انتصر لهم
فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه" وقال أيضاً في "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه" وقال تعالى "أليس الله بأعلم بالشاكرين"
"والله أعلم حيث يجعل رسالته" وكذلك أعلم حيث يجعل الإيمان

صورة المسألة: هل لله على الكافر نعمة في الدنيا أم لا؟ فبعض الناس قالوا
لا ليس له نعمة في الدنيا وبعضهم قال نعم له نعمة تامة وبعضهم قال له
نعمة ليست تامة.

ذكر الله تعالى أن لهم أفراح وسرور ولذة وذلك في قوله "ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون" وقال "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها". وهذا أمر محسوس لكن الكلام في أمرين:

أحدهما: هل هي نعمة أم لا؟

الثاني: أن جنس نعيم المؤمن في الدنيا بالإيمان وما يتبعه هل هو مثل نعيم الكفار أدونه أم فوقه؟

فائدة: فضل الله علينا بأن هدانا للإسلام وحبب إلينا الإيمان هو أعظم وأكبر نعمة ننعم بها، الكافر لو كان أعطى الناس كرسيه [illegible] إيماناً بالله ثم نظر إلى الكافر وظن أن الكافر متنعم في الدنيا أكثر منه فهو جاهل وجاحد لنعمة الله.

فائدة = ترك الذنب أيسر من طلب التوبة = الحكاية مشهورة للحلاج وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً. = ليست المشكلة في أن الذنب الذي فعلته ذهب إثمه بالتوبة بل المشكلة في معاناة نفسية ربما تدركك بسبب المعصية لذكرى منها: كأن الذي فعلته من قبل ويقول كيف فعلت هذا؟ وتأنيب الضمير أحياناً: اللذة التي تحسها في هذه المعصية قد تكون سبباً في أن تقع في المعصية مرة أخرى بأن تحدثك نفسك لفعل المعصية فأنت دائماً لست منها توبة قوية، الشهوات تبقى في [illegible] ربما تشوش عليك وتشككك. ومثل العاقل ليس هو الذي يدخل في الخطأ ثم يعتذر عنه وإنما العاقل هو الذي لا يدخل في الخطأ فلا يحتاج إلى الاعتذار، ولكن فعل التوبة والحسنات الماحية قد توجب الثواب، وعظم ثواب ترك الذنب أولاً.

ما هي النعمة وكيف نشكرها:

أولاً أن نعترف أنها من الله، ثانياً: ألا نستعملها في معصية الله والإكثار من فعله معصية، والاستكثار بالطاعات؟

(تأملوا): فلعل من الناس من نسيه أن ما أعطيه الله له من الذكاء والقرآن والسعة والعلم ووجود المساجد وعدد المشاهدات كل هذا ابتلاء وأن من أعطاه نعمة وهو يعلم أنه مسؤول عنه واتقى الله فيه سيجد جبال من الحسنات يوم القيامة يرفع بها ويقول يا رب كيف وصلني هذه الدرجات.

(فائدة): الله تعالى يطلب من عباده شكر نعمه، وعليه أن لا يستعين بنعمته على معصيته.

بعض الناس يقولون أن الله ابتلى بعض الناس بالأموال ليكفروا! وهذا من حفظ الله إسلامهم لكن هم الذين كفروا، فالنعمة من الله ولكن الناس لا يؤدون شكر النعمة ويستعملونها في معصية الله. قال تعالى: "فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم" "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" "انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون".

فالله سبحانه وتعالى لا ينعم عليهم ليضلهم، الله سبحانه وتعالى ينعم عليهم لكن هم الذين لا يتقون الله، لا يشكرون الله سبحانه وتعالى على نعمه ويستعملونها في الباطل

قال ابن تيمية: "فإن حقيقة الأمر أنه نعّم العبد نعماً، وكان من ذلك لبعض سبباً للتعذيب أيضاً، فقد اجتمع فيما فعله تنعيم وتعذيب، لكن إنما كان التعذيب بسبب معصيته، حيث لم يؤدِّ حق النعمة، ولم يتقِ الله فيها.

فلم يعذب العبد بهذه النعمة ابتداءً، وإنما عذب بالسبب فعله، فهذه النعمات هي من نعمة من وجه دون وجه، فليست من النعم المطلقة، ولا هي خارجة من جنس النعم مطلقها ومقيدها.

خلاصة القول:

① أن عطاء الله في الدنيا هو عطاء ابتلاء، وليس جزاءً، قال تعالى: "كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً" فالله سبحانه يعطي كلا المؤمن والكافر في الدنيا، وما كان عطاؤه محظوراً، ولكن هذا العطاء ابتلاء.

② أن من اتقى الله في هذا العطاء وشكر الله وعلم أنه من الله واستعمله في طاعة الله فهذا يكون العطاء في حقه نعمة من كل وجه.

③ وأما من أعطي هذه الأمور وهذا الإكرام والتنعيم والعطاء والرزق لكنه لم يتقِ الله فيه صار من وجه استدراجاً ومكراً وإملاءً.

④ يصح أن نقول إن لله على الكافر نعمة في الدنيا من وجه، وأن الله ينعم على الكافر في الدنيا استدراجاً ومكراً وإملاءً، ولا يصح أن نكتفي بأحدهما دون الأخرى؛ لأننا بذلك نكون أخذنا ببعض القرآن دون بعض والقرآن أشبه بالصحيفة

٥) النعمة الكاملة في الدنيا لا تكون إلا للمؤمن أما الكافر فتكون نعمة من وجه كعند أبناء وأملاك ونقمة من وجه آخر والذي يفهم هذا الكلام لا يمكن أن يعجبه أي شيء أعطاه لأنه اختبار ممكن أن يكون جزاءً لطاعة متقدمة، والاعتبار بالخواتيم فكم من معصية أعقبت خيراً وبركة وكم من نعمة أعقبت ذلاً وحسرة ونارا.

قالت عائشة رضي الله عنها عندما أكثر الكلام ناس من الصحابة وظنت أنهم أحسن حالاً من بعض الصحابة فتأتي إيماناً منهم بما عملوا عبادة من الطاعات وكانت تقدرهم كالرابح.
فقالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل اعملوا فسيرى الله عملكم".

فائدة: أدل شيء يجب أن تعرفه هو أن الله يحبك لأنك تحمد الله على الإسلام وأن تشكر الله شكراً كثيراً دائماً على نعمة الإسلام، أي تشعر بنعمة الله أن وجهك طلبك إلى طلب الفقه في الدين والقرآن، وأن تغتنم أن تسلك في هذا الطريق.

فائدة: الصحابة كانوا صورة تطبيقية لهذا العلم لذلك مدحهم الله تبارك وتعالى أهل العلم العاملين به فهم أولى الناس بمعنى العلم وهم الداعين الآمرين به لعمله وحقوقه.

جامع المسائل - المجلد الخامس ص ٢٤٥ — سفر/صفيه عبد الرازق

(١) رسالة في نعمة الله على المؤمن في الدنيا / التاريخ: ١٧/١٠/٢٠٢٠

ص ٢٤٥

تابع رسالة (٥٨) الدرس الثاني

هل لله تبارك وتعالى على الكافر نعمة في الدنيا؟

فيه أن بعض أهل العلم أنكر ذلك وقالوا كيف يكون نعمة مع سوء العاقبة وبعضهم قال هي نعمة من كل وجه كما ينعم الله على المؤمن وكلا القولين ليس صحيحاً والصواب أنها نعمة من وجه دون وجه.

المعنى هنا: أن كل ما أعطاه الله لعباده هو ابتلاء وامتحان والاختبار فيه بالكوائن فيما أحسن شكر هذه النعمة ومن يكفر بما أعطاه الله كانت في حقه نعمة ومن لم يحسن ذلك كانت في حقه مصيبة فبالتالي فإن إعطاء الله تبارك وتعالى للعبد في الدنيا يكون ابتلاء ولكن في الآخرة العطاء يكون جزاء والعطاء في الدنيا إنما يكون جزاءاً لكنه هذا جزاء لا يعلم الصحيح أم هو شر فإنه للمؤمن لا فيه للكافر إلا بالكوائن أي ما الذي قدم له وماذا عمل فيه

والله سبحانه وتعالى في سورة الفجر "فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن" فالله سبحانه وتعالى اثبت أنه ابتلاه واثبت أنه أكرمه ونعمه فهذا ابتلاء بالإكرام والتنعيم. وهذا يثبت أن تنعيم الله تبارك وتعالى للعبد مع عبارة وإكرام الله تعالى له يكون ابتلاءً ويكون اختباراً "ليبلوكم أيكم أحسن عملاً" فمن الناس من يكون أحسن الناس عملاً ومنهم من يكون من الأخسرين أعمالاً

التاريخ: / /

الموضوع: ____

قال تعالى: "وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن"

وهو لا شك يرى هذين الأمرين الأول ظنه أن عطاء الله تبارك وتعالى له هو إكرام كما يعطي المعطي العطاء شيئا يكرمه به ويمتاز به دليله كذلك وهذا ليس صحيحا لأن الله سبحانه وتعالى ما عطاؤه يبتلي به كثير فهذا الرجل أنكر عليه الأمرين الأول أنه لم يفهم معنى الابتلاء ذلك ظنه أن الإكرام مطلق ونسي مطلق وهذا خطأ؟ والأمر الثاني: أنه ظن أنه مستحق لهذا. كما قال قارون وكان صاحب الجنة وغيرهما ممن أعطوا من النعم وهم كفار حسبوا أن ذلك إكرام من الله تبارك وتعالى لهم. فغفلوا عن شكر نعمة الله وكذلك لم يستعملوا تلك النعم في طاعة الله تبارك وتعالى وجحدوا فضله، فلذلك كانت عليهم نقمة. وأما الثاني فهو أنكر عليه لكونه ظنه أن الله سبحانه وتعالى إذا قدر عليه رزقه أن الله يهينه بذلك وهذا كثير من الناس يقع فيه يظن أن الله سبحانه وتعالى إذا لم يعطه شيئا من الأشياء التي يطلبها يظن أن الله يحرمه ولا يدري أن الله سبحانه وتعالى ربما يحميه بذلك وربما يصرفه عن معصية من المعاصي إذا تمكن منها سيفعل شرا كبيرا

الشاهد أن الإعطاء والمنع هو ابتلاء من الله تبارك وتعالى والله سبحانه وتعالى فضل بعض الناس على بعض في أشكالهم وجسومهم ومعرفتهم وأموالهم والأرزاق وغير ذلك وهذا التفضيل ابتلاء للمفضَّل والمفضَّل عليه

الموضوع: التاريخ: / /

٢- أما في الآخرة فعطاء الله تبارك وتعالى عطاء ،، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ،،

قاعدة: إذا جاء الشيء منفياً وجاء مثبتاً في القرآن والسنة فلابد أن يكون المنفي غير المثبت. قال تعالى: ،، إنك لا تهدي من أحببت ،، وفي آية أخرى قال ،، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ،، فلابد أن الهداية المثبتة للنبي صلى الله عليه وسلم غير الهداية المنفية عنه. الأخبار التي جاءت منفية وجاءت مثبتة في الشريعة أو في الواقع فلابد أن يكون المثبت غير المنفي هذا في الأخبار أما في التشريع والأحكام فقد يكون من باب النسخ وقد يكون اختلافاً تشريعياً أي أن تكون جهة التشريع لجواز غير جهة المنع والحظر.

فائدة: الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء علماً ويعلم كل شيء أزلاً سبحانه وتعالى كتب كل شيء ولأنه عالم كل شيء وهو الذي قدر كل شيء، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو سبحانه وتعالى يعلم من يطيعه ومن يعصيه ومن يشكر النعمة ومن يجحدها هكذا، لكن الله سبحانه وتعالى لا يحاسبنا على علمه بما سنفعل ولكن يحاسبنا على أفعالنا وأعمالنا ،، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ،، وعلى هذا تترتب الدرجات والدركات ،، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ،، ،، فننظر كيف تعملون ،،

العلم نوعان علم بالشيء مقدراً وعلم بالشيء إذا وقع = والله سبحانه وتعالى لا يحاسبنا على ما علمه مقدراً أننا سنفعله ولكن يحاسبنا على ما عملنا بالفعل. وليس لا نفعل ما الذي كتب لنا.

الموضوع: ____ التاريخ: / /

الله سبحانه وتعالى إذا أعطى الإنسان المال أو الجاه أو الذرية فهذا
من ربه ليس إكراماً، لكن من طلب رضى الله كانت هذه من جملة إكرام ربه
أو كانت استدراجاً ومكراً وإملاءً كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أيحسبون
أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾

فائدة: الكرامة هي لزوم الاستقامة: فمن الناس من يظن أن ما يحصل
من خوارق العادات كما يحصل من كثير من المتصوفة وغيرهم أن هذا كرامة
من الله وأن الله هو الذي أعطاهم كل هذا وأقدرهم عليها لأنه يحبهم
وهذا ليس صحيحاً لأن هذا من الباطل؛

أولاً: أنهم خالفوا الولاية فإنهم ضلال

ثانياً: أن هذه الأمور مستفادة من الشياطين ولا يصل الإنسان إلى هذا
النوع من الخوارق إلا بمساعدة من الشياطين

ثالثاً: أنهم لما رأوا أحوال هؤلاء المشعوذين والدجالين وأنهم لا يصلون
ويفعلون الفواحش ويشربون المخدرات والدخان علموا أن أهل الصلاح
من الصلاة والزكاة ليسوا مثلهم، والدليل أن هؤلاء الأولياء تجري
على أيديهم الكرامة لأن الله يحبهم فكأنه لا يريد إلا أن يكون الإنسان
مستقيماً على الطاعة حتى يكون ولياً لله.

ابن تيمية رحمه الله فرّع على هذا الأصل وهو ظن كثير من الناس أن إكرام
الله للشخص أو ما يحدث للشخص من الأمور التي تحصل على يديه كرامة

مما يعلم من كمال هذا الدين بغير ذلك ظنوا أن ذلك من الله كرامة
مطلقة فكل من أعطي مالاً وكل من أعطي ذرية أو جاهاً أو سلطة ظن أن
الله هو الذي كافأه بذلك وجازاه عليه، وليس الأمر كذلك بل هذا
ابتلاء واختبار من الله سبحانه وتعالى فيه ذلك لعبده وسعة بلائه.

فابن تيمية يقول يظنون أن الخوارق كرامة أو إكرام من الله أو عطاء من الله

الله سبحانه وتعالى عليه أن يكرمه أو ليزيده شيء من ذلك كما أعطى سبحانه وتعالى
مريم وكما أكرم أصحاب الكهف، ولكن سبب ذلك هو الطاعة ويكون جزاءً
من الله سبحانه وتعالى لأوليائه ويكون من الله أما هذه الخوارق فتكون من إعانة
الشياطين ويكون سبباً للفسوق والفجور، قال رحمه الله: بل في الحقيقة الكرامة
هي لزوم الاستقامة: أعظم ما يعطيه الله للعبد في الدنيا هو أن
ييسر له العمل الصالح. أي أن أعظم إكرام الله سبحانه وتعالى لأي عبد في الدنيا
والآخرة ليس هو أن يعطيه مالاً أو منصباً أو جاهاً أو ذرية فهذا
يعطيه الله سبحانه وتعالى لمن أحب ويعطيه لأبغض الناس كفراً كما كان لفرعون
وقارون وهامان ونمرود وغيرهم، ولكن أعظم كرامة من الله لعبده هو أن ييسر
له العمل الصالح وأن يجعله مستقيماً. وعلامة حب الله للعبد أن يرى العبد
أن ربه يحبب إليه الإيمان ويزينه في قلبه وأن الله سبحانه وتعالى يعينه على
الطاعة. وأن الله ييسر له سبل الطاعة وأن يعطيه توفيقه فيها فلهذا
فالكرامة هي لزوم الاستقامة.

فائدة: عطاء الله سبحانه وتعالى في الدنيا لشخص ربما يكون بسبب عمله الصالح لكن هذا العطاء ذاتياً اختبار وابتلاء.

فهذا العطاء يكون جزاء وابتلاء في آن بالنسبة للأولى وابتلاء لما سيقدم للثانية؟ هل سيتقي الله تبارك وتعالى فيما رزقه الله به هل سيجعله لقوم الله أم سيتعالى به على الناس أم يتكبر ويكفر به ويزدري به الناس. أم يفخر به على الناس أم يستعمله في معصية كفتاة الطلمة والفجرة وهكذا. حيث أن يكون ما أعطيه الإنسان بسبب عمله الصالح ولكنه لم يتق الله فيه. وأول ثلاثة تقضى عليهم يوم القيامة عالم وقارئ للقرآن ومجاهد ومنفق، هؤلاء كانوا على الأسس للأعمال لكنهم دخلوا بها النار بسبب أنهم لم يتقوا الله تبارك وتعالى فيه.

قال الله تعالى "وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً".

فهذا أتى لهم بالاستقامة "لنفتنهم فيه" فهذا العطاء فتنة.

والفتنة هي اختبار كما قال الله سبحانه وتعالى "وفتناك فتوناً".

فهذه الفتنة لا يلزم أن تسقط كل إنسان في هذه الفتنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً" وكل إنسان يفتن، "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين".

ومن النواحي الشرعية: إذا أعطاك الله مالاً أو ذرية أو عافية أو علماً يجب أن تشكر الله ويجب أن تستعمل في طاعة الله، ويمكن للإنسان أن يحصل على المال من طريق مشروع ثم ينفقه في طريق غير مشروع، والعكس يمكن أن يكسب الإنسان مالاً من طريق حرام ثم ينفقه في أعمال الخير، وهذا غير مقبول لأن الله تبارك وتعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

الله سبحانه وتعالى يمكنه أن ينعم على الكافر ويمكنه أن ينعم عليه أن يمكن له ويمكنه أن يقويه ويعطيه ويزيده نعمه لا يمكنه أن يسلب هذه نعمة مطلقة أو كرامة مطلقة أو عطاءً مطلقاً، الأعجب ما يكون في هذا أن يكشف عن أسرار وجه التكريم والتنعيم ويدرجها في الاختبار والابتلاء، فقد تكون شيئاً من سعادته وقد تكون شيئاً من شقاوته ويدرج بالشيء أنها في حقه نعمة ومصيبة لأنهم أمره سيؤول إلى الكفر بهذه النعمة فتكون زيادة في الاستدراج عليه كما قال الله: "إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً". وكما قال موسى عليه السلام: .. ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم".

فلاحظ هذا الأمر: النعمة يتعلق بها أمرين رئيسيين: الأمر الأول: أن التكريم والتنعيم ليس كذلك من الابتلاء والاختبار، وبالاعتبار ما تؤول إليه قد تكون نعمة في الحقيقة وقد تكون مصيبة. فربما كان الإنسان مفتقراً فأعطي الأموال فقدر على أنواع من الشر كان عاجزاً عنه.

فائدة = القرآن جاء ليصحح ظنون الناس، ومن أشهر هذه الظنون، ظنون أن عطاء الله في الدنيا هو جزاء وإكرام فالله معظم، وأن منع الله حرمان وأنه سلب وأنه يدل على أن الله يكره هذا الممنوع، ولذلك كان هذا له آثار على الكفار فقالوا "نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين" وقالوا "لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" وقالوا ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي، ولما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد بلال وخباباً وسلمان وغير ذلك من الآثار. فالله سبحانه وتعالى بين هذه الظنون الخاطئة وبين لهم أن الله في إعطاء ومنعه هو يختبر ويبتلي قال تعالى:

"ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون" وقال "وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون"

يريد ابن تيمية أن يقول أن الله سبحانه وتعالى ابتلى الكفار بالحسنات والسيئات وكذلك ابتلى المؤمنين بالحسنات والسيئات ليبين هل سيكون شكور أم لا، ليبين عنده صبر واتكال أم لا، ليبين هل سيكون صبور ليبين عنده نعم والقسمة المشهورة قسمة الفقير الصابر والغني الشاكر هذه قسمة خطأ القسمة الصحيحة هي التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا المؤمن"

ليس هناك إنسان مهما ملك ومهما كان ذا مال وجاه وسلطان إلا وعنده أمور يبتلى فيها تحتاج إلى الصبر، وعنده كذلك ما يحتاج إلى الشكر، وكذلك الإنسان الفقير عنده نعم كثيرة. فكل إنسان عنده أشياء تحتاج الشكر وأشياء تحتاج الصبر.

فائدة: لا يمكن أن يكون الإنسان بعد الفتنة كما كان قبلها فالفتنة خافضة رافعة = أي أن أي إنسان تفتنه بأمرها إما أن يرتفع بعده أو يخفضه؛ لا يمكن أن يبقى كما هو. لأنه إما أن يدركها وإما أن يقع فيها. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ... الحديث"

قال ابن تيمية: "ثم تلك المسار التي هي شهوات عاجلة إذا عصي الله فيها كانت سببًا لعذابه، والمكاره التي هي عقوبة معاصيه إذا أطيع الله فيها كانت سببًا لسعادته". والشكر يتفاعل العبد مع ما يحصل له من المصائب أو النعم.

لم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم مجرد المصيبة شرًا، ولم يجعل مجرد الخير نعمة وإنما جعل السراء خيرًا لمن شكر وجعل الضراء خيرًا لمن صبر من فقه هذا المعنى علم أن كل ما يقضيه الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن لا يمكن أن يكون إلا خيرًا له حتى.. لأنه بين الشكر والصبر.. كل من اتقى الله فيما كان طرفًا عرضه من حياته فلا بد أن تكون عاقبته خيرًا للمتقين، لا يمكن أبدًا

الموضوع: التاريخ: / /

أن يتقي الصدر به في أي أمر إلا ويكون خيراً له وأعظم خيراته يؤجر على هذا بالصبر والاحتساب والتقرب إلى الله وبركاته وحلاوة والاستكانة وغيره وهكذا.

قال الإمام ابن تيمية: " فتدبر هذا لتعلم أن الأعمال بخواتيمها وأن ما كان ظاهره نعمة وهو لذة عاجلة قد يكون سبباً للعذاب، وما كان ظاهره عذاب وهو ألم عاجل قد يكون سبباً للنعيم ⇐ كسحرة فرعون كانوا يعملون كل أنواع الكفر والفسوق والعصيان وكانوا مصممين لاكبر خاتمتهم وما الذي ختم لهم به؟ ختم لهم بأعلى درجات الجنة) وذكر الله قصتهم قرآناً يتلى إلى يوم الدين. وفيها لطائف ذكر الله .. واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا .. كان من أعلم الناس وأتقى الناس ثم ختم له بأنه كالكلب واتبع الشيطان وصار عبرة لمن بعده) فالأعمال بالخواتيم لا تغتر بعمل أي عامل لأن الله سبحانه وتعالى يعامل العبد بعمل قلبه أولاً وليس فقط بما ظهر منه) ثانياً أنت لا تدري بما يختم لك) ثالثاً أن هذا من باب الفتنة.

قال الإمام ابن تيمية: "المنعم عليهم في الحقيقة هم الذين يموتون على الإيمان،" وهم الذين لقوا ربهم مسلمين وألحقوا بالأنبياء والصالحين فهم "توفنا مسلمين"

الدرس الثالث

رسالة/ في قضية الله تبارك وتعالى على المؤمنين للإمام ابن تيمية رحمه الله.

كيف يأمرنا الله تبارك وتعالى بأنه لا نموت إلا على الإسلام؟ وهذا شيء لا تملكه البشر.

والمقصود هو أن يأخذ الإنسان بأسباب ذلك والله سبحانه وتعالى جعل العبد متمكنًا مما كلفه وله قدرة وله اختيار وله مشيئة وله فعل.

الجمع بين الشرع والقدر:

الشرع: هو الأمر والنهي أي أن الله سبحانه وتعالى أمرنا ونهانا أمرنا بعبادته ونهانا عن معصيته فكيف نجمع بين هذا وبين أن الله سبحانه وتعالى علم ما سنفعله وكتب ذلك وخلق أفعالنا وقدرها وشاءها. والجمع بين الشرع والقدر هو من أهم المسائل التي وقع فيها خلاف كثير بين طوائف المسلمين بل حصل فيها نزاع كثير بين الكثير من الفلاسفة وأصحاب الملل وحتى غير الإسلام

وخلاصة هذا القول: هو أن الله سبحانه وتعالى علم وكتب وشاء وخلق وقدر كل ما سيفعله العباد ولكن العبد له قدرة وله استطاعة وله مشيئة فيما يفعل وكل ما خرج عن قدرة العبد وإرادته يكون العبد فيه معذورًا لا يحاسبه الله سبحانه وتعالى.

تكلم الإمام هنا وهذا الكتاب وهو يتكلم عن الناس بين الشرع والقدر وابن تيمية رحمه الله بين أن ما يصيب العباد إما أنه نعمة أو سيئة

لكن المشيئة قد تؤول به إلى نقمة وسعادة نعيم والحسنة قد تؤول به إلى معصية والعبرة بالخواتيم. ومنها أيضاً أن النعم عليهم هم الذين ماتوا على الإيمان.

منها أن المشيئة للعقائد والقدر متعلقة أهل الإثبات ومنهم من غلا وأثبتوا القدر السابق أن الله علم وخلق وشاء وقدر ولكنهم قصروا في باب الأمر والنهي فجعلوا العبد كأنه مجبر على أفعاله بما كونه الكسب؛ جعلوا أنه ليس له إرادة فالكل ليس له قدرة واختيار تشبيه كلام الجهمية الجبرية. وكان الواجب أن يجمعوا بين هذا وذاك ولكنهم اعتنوا بباب القدر وأهملوا باب الأمر والنهي إلى الشرك والوعد والوعيد. وأيضاً نفوا الحكمة الغائية لله تبارك وتعالى وزعموا أن الله يفعل بمجرد المشيئة والقدرة وأنه ليس له حكمة أو علة في أفعاله تبارك وتعالى.

وعلى العكس من ذلك القدرية الذين لم يلاحظوا إلا الأمر والنهي ونفوا خلق الله ومشيئته لأفعال العباد كما أن الله إذا قدر أفعال العباد وأنه خلقها ثم عاقبهم عليها يكون ذلك ظلماً أو يكون العباد مجبرين على ذلك فبالعكس هم راعوا الأمر والنهي والشرك والوعد والوعيد ولكنهم أهملوا باب القدر فنفوا عن الله ما أثبته الله سبحانه وتعالى وجاءهم لشيء لفعل

أيضاً) فالعقل يثبت أن الله خلق كل شيء وكذلك خالق أفعال العباد.

وهناك حكمة عامة وحكمة خاصة: والحكمة العامة هي حكمة الله في خلقه وشرعه وأمره وهناك حكمة خاصة من الله تبارك وتعالى للعباد المؤمنين أو للعباد بشكل عام.

بين الإمام ابن تيمية أن الأمر الذي ظاهره نعمة قد يكون في حقيقته للناس نقمة والعكس لتحقق العدل وذلك بسبب تفاضل العبودية فقد يكون العبد مستحقاً من هذه النعمة ويبين المقدمات أن الله سبحانه وتعالى يبتلي وأنه يبتلي بالحسنات والسيئات وأن العبد إذا اتقى الله في الحسنة تكون حسنة حاصلة وإذا اتقى الله في السيئة تكون منة حاصلة ونعمة) بهذا يكون الناس أربعة أقسام: منهم من يكون صالحاً على السراء) ومنهم من يكون صالحاً على الضراء ومنهم من يصلح على هذا وهذا وهؤلاء هم الكمل من أهل الإيمان والكامل من أهل الإيمان هو الذي يكون مؤمناً بالله تبارك وتعالى في حال السراء والضراء وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم إن أمره كله له خير. وهؤلاء بالترتيب هم الذين ذكرهم الله لعبد ذكر الصنف الأول قال الله سبحانه وتعالى

"ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور"

ثم قال الله سبحانه وتعالى "إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير"

وقال: إن من عبادي منهم من لا يصلح لهم إلا أحدهما، وهذا جامع لكل أمر لا يصلح إلا من حال الرفاه ولا من حال الشدة. والإنسان لو أدرك بكل هذه الابتلاءات وجب عليه في كل حال أن يتقي الله بما يقتضيه هذا الحال.

فائدة: منع الله تبارك وتعالى لك من أمور تريدها قد يكون من باب محبته وليس الحرمان، وإن الله سبحانه وتعالى لو أعطاك هذه المقدرة أو هذا التمكين أو هذا الأمر ربما كنت قادراً على المعصية ولم تكن تقياً: الإنسان قد يطلب شيئاً ويلح في الدعاء ويمنعه الله تبارك وتعالى منه ويكون ذلك من رحمة الله به وحكمته ومشيئته. ويظل المسلم مع كثرة سؤاله وإلحاحه على الله يقنع بما كتب الله.

والإنسان يسأل الله في كل شيء يطلبه، لكنه يبقى دائماً راضياً بحاله، فالعاقبة هي أن تكون قانعاً بالله، أن ترضى دائماً بالموجود وأن تكون قانعاً به، ومع ذلك كله أن تطلب وأن تأخذ بالأسباب وأن تدعو، ولكن تبقى دائماً في كل حال من أحوالك تحمد الله تبارك وتعالى على عطائه ومنعه.

نريد أيضاً أن نقول إن المؤمن إذا اتقى الله في كل أحواله كان كل أمره خيراً له، وهذه الضراء التي تنزل به ربما تحسب أنها شر، ومع ذلك فكم فقد تكون سبباً لرفعه، كل هذه الأمور لو علم الإنسان بما كان له من حسنات ودرجات فيها من الدرجات بالصبر والتقوى لربما تمنى هذا البلاء ولو استمر

فإن هذا البلاء من لطف الله به ولو علم أنه ربما لو كان باقياً على تكلفه وقدرته لفجر وكفر أو أنه من سيئات البشر التي كفر بها الله بهذا البلاء، ولكن قد يشترى الإنسان بطاعته. ثم تكفير سيئاته أو رفعة أو رتبة يبلغ ما كتب له من الكمال.

وهذا يقتضي أن العبد محتاج في كل وقت إلى:

الاستعانة بالله على طاعته وتثبيت قلبه وتثبيت القلب: أن لا يعبد الله على حرف والله سبحانه وتعالى لكثيراً ما يذكر لنا من كان مؤمناً ثم كفر وتابع ربه بالتقوى إلى أن لقي الله تبارك وتعالى.

الله سبحانه وتعالى ذم نوعين من الناس: النوع الأول: من إذا ابتلي أو أصيب لم يستكن لله ولم يتضرع ويدعوه، قال تعالى: "ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون"، والنوع الآخر هو الذي يدعو الله من حال الشدة ثم ينكر نعمه بعد أن ينالها

قال تعالى: "ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور"

فأخبر أنه عند الضراء بعد السراء ييأس من زوالها في المستقبل ويكفر بما أنعم الله به عليه قبلها، وعند النعماء بعد الضراء يأمن عودة المكروه في المستقبل وينسى ما كان فيه بقوله "ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور" على غيره ويفخر عليهم بنعمة الله.

فائدة: كل صفة ذكرت للإنسان أو النفس في القرآن يمكن أن تكون صفاته أصلها في المؤمن ويكون أصلها في المؤمن من جهة النفس وليس فقط

للكافر قال تعالى "إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً

وإذا مسه الخير منوعاً" وقال تعالى "خلق الإنسان من عجل"

"إن الإنسان لربه لكنود" "إن الإنسان لظلوم كفار"

"وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً" فكل إنسان بشكل عام المؤمن

والكافر يمكن أن توجد فيه هذه الصفات وإن كانت بنسبة تختلف

ويمكن أن يوجد عنده بعضها، فهذه الصفات يمكن أن نرى أن اكتسابها

مثل الإنسان حينما يكون معه مال يبخل أم يكون جهل الإنسان

إذا كان هو فقراً ومرضاً أدى ذلك للقنوط من رحمة الله فواجب على

الإنسان أن يصلح نفسه من كل هذه الأمور على آيات القرآن.

الكنود: هو الذي يعدد المصائب وينسى النعم.

والمؤمن كثيراً ما يجحد نعمة الله عليه وهذا ليس محصوراً على الكافر.

والصبر في السراء قد يكون أشد: ولهذا قال بعض الصحابة رضي

الله عنهم، ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من فتنة الغنى ومن شر فتنة

الفقر وقال لأصحابه "والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى

عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها

كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم" وفي رواية "فتلهيكم"

فائدة: المؤمن هو الذي لا تشغله نعمة عن الطاعة ولا تقوده المعصية على الطاعة، فإذا كان المؤمن هكذا إذا حزن ترك الطاعة وإذا فرح شغل عن الطاعة فهذا من ضعف الإيمان.

معنى أن المؤمن منعم في الدنيا قبل الآخرة وأن الكافر معذب في الدنيا قبل الآخرة؟ وكيف تكون الدنيا بالنسبة للمؤمن نعمة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن؟

الدنيا سجن المؤمن لأنه ممنوع فيها من إرادته السيئة وكذلك سجن باعتبار ما سيلقاه من الأجرة عند الله تبارك وتعالى من الفردوس وأن الكافر وإن كان في الدنيا في جنة لأنه يفعل ما يقدر بقدرته وإرادته الفاسدة.

كثير من الناس يقولون أين ما تزعمونه من أن الكفار معذبون في الدنيا وقد بسطت لهم الدنيا وفتح عليهم من أبواب النعيم الكثير؟

بين الإمام ابن تيمية أن من لم يعرف حقيقة الإيمان هم إما عاجزا وإما عاجز، فالإنسان إذا كان قادراً أو كان عاجزاً لم يحجزه عن المعصية إلا العجز، كلما قدر على معصية فعلها فتكون الدنيا جنة بهذا المعنى وهذا الشخص ربما لكثرة مقدرته تفقد اللذة بهذه المعصية لأنه أصبح ليس عنده حاجة في اللذة ولكنه تكون تقدر الانتظار والشوق والافتقار إلى الشيء المعصية التي يجد فيها دواعي الطاعة وحتى أدوات الترفيه وإنما المعصية في الإرادة أو الشعور باللذة الحقيقية وهذا ليس قدره فيه إلا المؤمن

أن تشعر أنك تتألم فالسعادة داخلية ، والله سبحانه وتعالى
أجل وأكرم من أن يسعد قلب عبد كريم على الخلق ، ولو لم يعلم الإنسان
من الله إلا أنه حكيم لكفى في توقع قدر الظلم الذي يقع من الكفرة
الفجرة من الطغاة الذين تجبروا على الخلق .

مثل ابن تيمية لأن هؤلاء عندهم قدرة وعندهم جبور وعندوا اللذة
في المعاصي التي يفعلونها ومع ذلك لا يقدرون على تركها ويطلبون
ما يسعدون به ، لأن السعادة في القلب وليس في توفر الأدوات .

من أجهل الخلق من يظن أن الله يشقى عبده المؤمن ويسعد عبده
الفاجر الفاسق الكافر وهذا الإنسان جاهل والإنسان الذي يعرف ربه
يعلم أن الله أكرم من أن يشقي عبده المؤمن وأكرم وأجل من أن يسعد
قلب الكافر الفاجر الذي ظلم الناس وأن الله سبحانه وتعالى حليم .

فأما الفاجر فهو : فهو في عذاب عظيم لا يزال في أشد عذابها
كآبة ونكد وحياة صعبة .

فأما المؤمن : فهو مع قدرته له من الإرادة الصالحة والعلوم النافعة
ما يوجب طمأنينة قلبه وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة
وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه لأنه إذا كانت هناك إرادة
نية صالحة وإرادة صالحة وعزم فيترجم ذلك إلى عمل صالح وهذا
العمل الصالح سيحقق انشراح صدر وفلاح وسعادة وحياة طيبة .

المؤمن من أمره إما قادراً أو عاجز فإذا كان عاجزاً رجع وتمنى أن
يعمل كالذي عمله وسيؤجر على هذه النية وسيعيش بهذه النية سعادة
وشوقاً وفرحاً في القلب حتى ولو لم يتوجه إلى كمال العمل ،

قال ابن القيم ((وما يقع غلط أكثر الناس لأنه قد أحس بظاهر من لذات
أهل الفجور وذاقها ، ولم يذق لذات أهل البر ولم يخبرها ، ولكن أكثر الناس
جهال لا يسمعون ولا يعقلون)) = أي من لم يذق فرحة الطاعة من العبد الصالح
لا يشعر بها ، وربما عاش عمراً طويلاً في الفواحش والملذات فكل هذه اللذات
التي سيجدها لا تساوي شيئاً مقارنة بلذة الطاعة ، المناجاة لله سبحانه وتعالى .

المعتزلة والأشاعرة وغيرهم يجدون في حكمة الله من خلق العبادة ويجعلون الحكمة
للعبد في مجرد الثواب الذي يناله وغيرهم من كثيرة يقولون العبد لا يتلذذ بالطاعة
وإنما هي لمجرد الاختبار وإنها مشقة وإنها مخالفة للأهواء ومجاهدة للنفس
فهو لا يدرك لكونه لم يعقل حكمة الله ومعرفة العبد في هذه الطاعة في الدنيا ويثبتون
ذلك في الآخرة ، ومحل البحث في هذه الرسالة هو تنعيم الله لعبده
المؤمن في الدنيا قبل الآخرة .. وهذا المعنى يحتاج الدعاة إلى الله إلى
بيانه . لأن الناس عندهم أخطاء في معنى السعادة ، فخلطوا اللذة
بالسعادة لا يفرقون بين اللذة العابرة ، والمتعة العابرة ، والفرحة كالخفة
وبين السعادة وطمأنينة القلب والسكينة والراحة وذوق حلاوة الإيمان
فلابد أن نبين هذه المعاني ونبين نعمة الله على عبده المؤمن وتنعيمه
له في الدنيا قبل الآخرة .

فائدة: لا يمكن أن يسعد الإنسان سعادة تامة في هذه الدنيا بقدر سعادته بطاعة الله، وكذلك الإنسان إذا كان ذنبه أكثر ما يتعبه ويقلقه فهذه من علامات الإيمان وإذا كانت الطاعة أكثر ما يسعده فهذا أيضًا من علامات الإيمان،

الأول: جهل حكمة الله في خلقه وأمره

ثانيًا: جهل حقيقة العبد ومصلحة العبادة وكذلك ظلم النفس

(الدرس الرابع)

تابع رسالة ٥٨ (في محبة الله تبارك وتعالى للمؤمنين)

بين ابن تيمية رحمه الله أن الذين خاضوا في مسائل القدر، الحكمة، التعليل أي لماذا خلق الله ولماذا أمر، والله سبحانه وتعالى له الخلق وله الأمر وهم علمهم في ذلك قليل فكثير من الناس خاضوا في هذه المسألة الدقيقة بغير هدى من الله - العلم - فخلطوا الحق بالباطل وضلوا في هذه المسألة.

تكلم الإمام ابن تيمية عن الطائفة الأولى وهم القدرية، المعتزلة في أفعال العباد - قالوا الله سبحانه وتعالى لم يشأ ويخلق ويقدر أفعال العباد أم أنه سبحانه وتعالى لم يعلم ولم يقدر ولم يشأ أفعال العباد، والطائفة الأولى من المعتزلة أو القدرية بشكل عام القدرية الأوائل كانوا ينفون علم الله والكتابة وكل القدر وأما المعتزلة وهم القدرية المتأخرون فينفون مشيئة الله وخلقه لأفعال العباد وأثبتوا العلم والكتابة، وهؤلاء أثبتوا أن هناك مصلحة فيما أمر الله وفي خلقه وأما العبد هو موجد لفعله ومصلحة لنفسه، وفعل مقدرة نفسه بغير قدرة الرب وبغير مشيئته. والمعتزلة زعموا أن الله غير قادر وغير مريد لأفعال العباد وهذا من أكبر الضلال عندهم في هذا الباب وهم إنما قصدوا أن ينزهوا الرب سبحانه وتعالى عن الظلم والعبث.

ثانيهما: تحدث ابن تيمية هنا عن الغايات، المقاصد وأنه كان يكثر من العقل والنظر في المآلات أي الغايات، المقاصد، أشرف ما يتكلم أن تعلله بالمصالح هو من الإحسان والعدل وهو كذلك من الحكمة.

فيقولون القدرية نفوا أن الله علمه سابق لأفعال العباد وقدرته وكتابته
وتقديره وخلقه ونفوا مشيئته عمومًا. زعموا أن الله ليس على كل
شيء قدير وأن الله لا يقدر أن يهدي ضالًا ولا أن يضل مهتديًا؛
لأنهم قالوا لو أننا قلنا أن الله يقدر على أفعال العباد ويخلق أفعالهم
فما سمي العبد عبدًا لله ولكي يكون العبد مسئولًا عن فعله سيكون مجبرًا
فيقولون جميلًا منهم ظنوا أن إثبات مشيئة الله وقدرة الله هذا
تقتضي أن يكون العبد مظلومًا وأن يكون مجبرًا على فعله، وهذا ليس
كذلك فالعبد له قدرة وله مشيئة والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير
وكل إنسان يحس من نفسه هذه القدرة.

فهم قصدوا وصف الله بالعدل، لكن للأسف لكنهم ضلوا في هذا لأنهم
عندهم معنى العدل غير المعنى الذي نعرفه ومعنى الظلم غير المعنى الذي نعلمه
فإنهم قالوا أن الله على كل شيء قدير هذا عموم دخله التخصيص فهو لا يقدر
على أفعال العباد وهذا من تفسيراتهم الباطلة لكتاب الله.

فهم أنهم أرادوا أن ينزهوا الله تبارك وتعالى نوعًا من الظلم
والظلم فاشتبه الأمر عليهم بأجله أعظم مما فروا منه وهذا
عادة المسألة إذا فروا من شيء يقعون في شيء أكبر منه، فهؤلاء نفسهم
يقعون فيقولون أن الله ليس قادرًا إلا على ما فعل وهذا كذب
والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وكل ما هو شيء فالله قادر عليه
سواء فعله أو لم يفعله. بل الإنسان ذاته يقدر على أشياء كثيرة مع
ذلك لم يفعلها. والله لا يحصر القدرة في الفعل هذا ما جعل ما بالله

الموضوع: ______ التاريخ: / /

بالله تبارك وتعالى فهو على كل شيء قدير) وهم زعموا أن الله لا يقدر إلا
على مقدوره فقط، والقرآن يكذب هذا الزعم، فالله سبحانه وتعالى قال ﴿وإنا على
ذهاب به لقادرون﴾، ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾، ﴿قل فمن يملك من الله
شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً﴾، فالله سبحانه
وتعالى لا يعجزه شيء وهو قادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

(فائدة) ومن ذكاء ابن تيمية أنه لم يصرح بأسماء الفرق فما أكثرها بالكتب التي
ذكرها ومقالات الفرق. وهذا من الذكاء والحكمة، وحتى لا يتعصبوا كما يقول
من الأشاعرة = الطائفة أهل الإثبات

وهؤلاء الطائفة يشنعون على القدرية لأنهم يزعمون أن الله لا يعلم ذلك
العلم وهذا أيضاً من الأخطاء المشهورة) الله سبحانه وتعالى يعلم قبل كل شيء ويعلم
إذا حدثت أفعال العباد. فالله يعلم الشيء مقدراً كما أنه يعلمه واقعاً كما أنه يعلم
أنك ستموت وإذا مت علمت بموتك) فهذا العلم لا يسبقه جهل. كما قال
الله سبحانه وتعالى ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم﴾، وقال تعالى ﴿وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾
فهذا العلم الحادث لله لم يسبقه جهل فهذا علم بالشيء واقعاً بعدما كان
معلوماً له تبارك وتعالى مقدراً.

وهؤلاء المثبتة للقدر أخطؤوا فهم أثبتوا القدر السابق ولكنهم أخطأوا
فإنهم نفوا حكمة الله فإنهم لم يثبتوا لله الحكمة وإنهم زعموا أن الله سبحانه
وتعالى يمكنه أن يدخل النار حتى وإن كانوا على عمل صالح ويمكنه أن يدخل

الكفار إلى الجنة حتى وإن كانوا كافرين، فهؤلاء نفوا حكمة الله

تبارك وتعالى وجوزوا عليه كل فعل ممكن، وهذا ليس صحيحاً لأن الله

ليس موصوفاً فقط بأنه فعال لما يريد، وإنما موصوفاً كذلك بالحكمة

سبحانه وتعالى. «وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً».

والذي يفعل ما يشاء لا يمدح بمجرد ذلك إلا إذا كان حكيماً،

بعض الناس حينما يجعل من أسماء الله ومن عنده يغفل عن هذه النقطة

لماذا الله سبحانه وتعالى يقول العزيز الحكيم، العزيز الرحيم، حتى

تعلم أن له كمال من كمالاته فالعزيز الذي ليس حكيماً قد يكون ظالماً

وهو عزيز فالله سبحانه وتعالى موصوف بأنه يفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه

لكنه كذلك رحيم وحكيم ولطيف وخبير فإنه يضع الشيء في موضعه سبحانه

وتعالى.

مقابل الطائفة الجبرية زعموا أن كل شيء مقدور عليه فليس ظلماً وهذا

مقابله الطائفة الثانية الذين أنكروا القدر لكنهم أثبتوا الحكمة قالوا إن

الله قادر على أن يدخل الأشقياء النار وقادر على أن يدخل الكفار الجنة

فهذا ليس ظلماً، فهذا مع كونه تكذيباً للقرآن فإنه أيضاً نفياً لحكمة

الله التي تقتضي أن الله تبارك وتعالى يجعل المسلمين كالمجرمين

والله سبحانه وتعالى بين أن ذلك من أقبح الظلم ومنافي الحكمة

«أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل

المتقين كالفجار».

هل الله سبحانه وتعالى عاجز عن الظلم ولذلك لا يظلم، فبالتالي كل ما يقدر الله عليه فليس ظلماً؟ = هم تصوروا أن الظلم هو المحجوز عنه وهذا باطل فالله سبحانه وتعالى يقدر على ذلك ولكنه لا يريده؟ "وما الله يريد ظلماً للعباد" ففرق بين الإرادة والقدرة إنما تنفى الإرادة مع وجود القدرة، فلما نفى الله إرادته لظلم العباد هذا اقتضى قدرته على ذلك. فقولهم الظلم هو هو غير المقدور والصواب أن الله قادر على الظلم لكنه لا يريده. فإنه حكيم سبحانه وتعالى حرم الظلم على نفسه.

وهؤلاء لهم مقالات باطلة ومن جملة هذه المقالات أنهم نفوا حكمة الله في خلقه وفي شرعه فقالوا هو فقط يأمر ويكلفهم لمجرد المشيئة والله شاء هذا أنه يوجد هذا فقط لأنه شاء ذلك بلا أي التوجيه هو يحكم بلا حكمة، هو خالق الشيء لما هو فيه. وزعموا أن الله قد يأمر بما هو مفسدة للعباد وقد يكلف العباد وقد يرهقهم بما لا يطيق للعباد وكل هذا مخالف للفطرة وللعقل وللوحي الذي يبين أن الله سبحانه وتعالى عليم حكيم وأنه يريد أن يتوب علينا ويهدينا سنن الذين من قبلنا وأنه يريد أن يخفف عنا وما جعل علينا في الدين من حرج، يريد الله بكم اليسر ولكنهم يعطلون كل هذه الآيات، ويجعلون الله فقط يفعل ما يشاء دون أن يعرفوا معنى الحكمة والرحمة وإرادة التوبة وإرادة اليسر وإرادة الخير ورفع الحرج. وإنما جاءت الشريعة الإسلامية بنا، هم سلبوا أجمل ما في الشريعة حكمتها ونفعها، يردد هذه المقولة جاهل مكلف بالإجابة؟ بل الأشاعرة عندهم بأن شريعة الله ليس لها غايات لأغراض أي شريعة الله ليس لها حكمة ونفعها للناس نظم

أنهم يقصدون بأن تنزيه الله عن الحاجة للناس وإن كان كثيراً منهم لا يقصد هذا المعنى وإنما يقصدون تنزيه الله عن الحكمة والأغراض وهذا باطل فالله سبحانه وتعالى له حكمة - وله مقاصد في خلقه وأمره تبارك وتعالى.

وقالوا: يأمر بأشياء وأنكروا أن يكون في الأحكام الشرعية من العلل المناسبة للأحكام من جلب المنافع ودفع المضار ما هو مرتبطة متعلقة به، «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا» «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين» «ليعلم الله سبحانه بالغيب» أما قبل الاستقراء من أجل النظر النبي صلى الله عليه وسلم تحصل من اللبس وقال إنه لا دليل، والقرآن مليء بالآيات التي تذكر فيها حكمة الله العامة والخاصة.

وقالوا ليس هناك مناسبة بين الفعل والحكم أي جعلوا العلل مجرد علامات ودلالات على الحكم، فقالوا إن الشرك ضد التوحيد والشرعية أن الله أمر بهذا ونهى عن هذا وكذلك العفة والزنا، لا يكون ولو أمر يأمر الله بالشرك لم ينهى عن التوحيد لجاز لنا أن نأخذ به.

وهم لذلك يزعمون أن الله قد يأمر العباد بما هو مخالف عليهم من كل وجه وزعموا أن الله يمكن أن لا ينعم عبده في الدنيا وإنما يكون المنعم فقط في الآخرة ومع ذلك يمكن أن يدخله الله النار بعد طاعته.

لوازم تلك الأقوال الباطلة وأثرها على المجتمع :

ومعلوم أنه إذا اعتقد المرء أن طاعة الله ورسوله فيما أمر به قد لا تكون مصلحة له ولا منفعة، ولا فيها نعيم ولذة ولا راحة بل تكون مشقة ومضرة عليه عليه، ليس فيها إلا محض عبادة، كان هذا من أعظم الصوارف له عن فعل ما أمر الله به ورسوله، فهو لا يرى فيها إلا الشقاء باطلة وآثارها باطلة على المجتمع.

بل الله سبحانه وتعالى ما ذكر الوعيد إلا ليخوف فقال: ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون، وإنما ذكر الوعد للترغيب وذكر الوعيد ليخاف.

الدافع أن تلك شخصية الإنسان المسلم الذي تبع هذا التقرير الفاسد الذي يتصور له أنه لا فرق بين ما أمر الله به ونهى عنه إلا أنه أمر ونهي وليس فيه حكمة، وليس فيه مصلحة تعود على العبد ولا منفعة فإن الله فقط يحكم بما شاء فإنه ليس حكيماً، كل هذه الطاعات إذا خطرت ببال العبد فيكون من أمره أنه لن يرجح جانب الطاعة التي يستشعر أنها ليس فيها ما لو يكره له مصلحة ولا منفعة ولا لذة بل عذاب وألم ومشقة ومضرة، وهذا الإيمان والصبر عليه أجر.

أي أنه لن يلحق ما يكره لا الشعور بلذة الإيمان فكيف الصبر عليه

والله سبحانه وتعالى نفى ذلك وذكر أنه يحيي عبده المؤمن حياة طيبة

بل قال تعالى: من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة. هل عليه أن لا شك أيضاً أنه عاقل أن الله ينعم المؤمن في الدنيا قبل الآخرة ويريح قلبه ويفرحه وينزل عليه السكينة واللذة والفرح ويجعله يشعر بطعم الإيمان فكل هذا أسباب لشعور المؤمن.

بين الإمام ابن تيمية أن رحمة الله تتعلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم
من إنزال المطر وإطلاع الشمس وأن حصول هذه الرحمة تقوى ببعض
النفوس

ثواب الدنيا للمؤمن:

قال ابن تيمية: "ثم إنه سبحانه وتعالى كما قال قتادة وغيره من السلف:
لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً به،
بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم.

يرد الإمام ابن تيمية على الناس زعمهما أن الله سبحانه وتعالى قد يأمر
بأمور مضرة لنا من كل وجه، وأنه قد يأمرنا بما فيه ضرر لنا، فقال الإمام
ابن تيمية: "فمن اعتقد أن فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذب
الله ورسوله، فليعلم من اعتقد أن المأمور به قد يكون ضاراً وضرراً
لا منفعة فيه، لا مصلحة لنا، ومن وجد في نفسه حرجاً مما أمر الله به ورسوله
فهذا من النفاق كما قال تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً"
وقال تعالى فيما أمر به من الصيام: "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"
فإذا كان لا يريد فيما أمرنا به العسر بكلفنا، فكيف يريد ما يكون ضرراً
وضاداً لنا مما أمرنا به إلا أن خفيناه منه؟

فائدة: الطاغوت: كل معظم ومتبع بغير طاعة الله ورسوله
من إنسان أو شيطان أو أي شيء من الأوثان.

وإنما ابن تيمية تكلم عن أصناف الضلال من هذه الأمة من جهة العبادة أو المتكلمون الذين أعرضوا عن الوحي: إما أنهم اتبعوا الأذواق وما يجدونه في أنفسهم دون اتباع الوحي أو اتبعوا علم الكلام والفلسفة ونحو ذلك.

"ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً" وضلوا بما فعلوه ولم يدروه.

فإذا عاقبهم الله ببعض معاصيهم في الدنيا (فأصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) قالوا: ما أردنا بما فعلنا إلا إحساناً وتوفيقاً. (أي أردنا الإحسان إلى نفوسنا والخلق) (وتوفيقاً أي جمعاً بين هذا وهذا) لنجمع الطائفتين بالصلح.

فهم لا حصلوا منفعة الدين بالاستقامة كلية ولا حصلت لهم منفعة الدنيا المطلوبة التي تركوا اتباع الشرع واتبعوا غيره رجاء حصولها.

قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً".

فدعاهم سبحانه بعدما فعلوه إلى المسارعة إلى التوبة، وهذا من رحمته بعباده، يأمرهم قبل المعصية بالطاعة وبعد المعصية بالاستغفار وهو رحيم بهم في كلا الأمرين، فأمره لهم بالطاعة أولاً من رحمته وأمرهم ثانياً بالاستغفار من رحمته.

(فائدة): يبين ابن تيمية أنه لو كان الحي عند قبر النبي يقول له استغفر لي أو ادع لي أو غير ذلك من مسألة: يا رسول الله ادع لي واستغفر لي أو سل لي ربك كذا وكذا لكان يفعله الصحابة وسلف هذه الأمة المعروفون من القرون الثلاثة ولو كانوا فعلوه لاشتهر الناس بنقله فلما لم يفعلوه ولا نقل إلينا

علم أن هذا الفعل بدعة لم ينقل عن الصحابة ولا أمر به النبي صلى الله عليه وسلم

بسببه من اتخذ ضريحه عيداً أو وثناً ومن اتخذ القبور مساجد.

بيان أن ما أمر الله به يجب أن يحب ويجب أن يرضى كله، وإذا كان يجب أن يحب ويرضى كله فالتعلق يكون مقيدة.

وإذا كان الصبر على الضراء وكذلك ما أوجبه الله فما حبه، لما أوجب الشكر على السراء أوجبه، كان كل الصبر والشكر مما يجب محبته وكله، فيكون ما قدر للمؤمن من سراء فيها شكر وضراء فيها صبر خيراً له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر كان خيراً له".

خلاصة ما تقدم :-

1. الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بالحسنات والسيئات بالنعم والمصائب.
2. النعمة إذا اتقى المؤمن ربه فيها ولم يعص فيها بطاعة الله تكون نعمة موافقة وتوجب للعبد وصولاً من نعيم الآخرة له.
3. المصيبة إذا صبر الإنسان فيها واتقى الله وصبر واحتسب فإنها تكون إما ماحقة لخطيئة وضرراً وإن الله سبحانه وتعالى ليس له نعمة كاملة على الكافر في الدنيا وإنما هي له شقي وإكرام لكنه ليس في نعمة وإنما هي من حيث الشكر وهي في آخرها استدراج وإملاء ومكر به بها.

التاريخ: / /

الموضوع: ________

العبد الذي لم يستغل هذه الطاقة من نعمة الله دائماً الأكثر بالحوائج

ومنه هذه الرسالة أن نشكر نعمة الله تبارك وتعالى على عبده في

الدنيا قبل الآخرة .

تم بحمد الله

